تأثر السرد العربي القديم بالآداب الأخرى:

1-تقديم :

امتاز الموقع الجغرافي للبلاد العربية بالتوسط بين أقدم الحضارات وأعتقها ، مثل الحضارة الإغريقية والحضارة الفارسية والحضارة الهندية ، ومما لا شك فيه أن الإنسان العربي عرف -بحكم هذا الموقع- انفتاحا على هذه الحضارات ، فلم يعش عزلة ولم يعرف انطواء مع شعوبها في حالات الحرب والسلم معا .

فبالرغم من عقلية الإنسان العربي الصعبة والناتجة أساسا من طبيعة بيئته فإنه عرف تواصلا مع هذه الشعوب مهد لعملية طبيعية كان نتاجها تمازج حضارات هذه الشعوب .

وقد كانت الحضارة الإغريقية من أكبر الحضارات المجاورة للبلاد العربية مما حدا بالإنسان العربي لأن يتواصل معها بحكم التجاور وميل الإنسان بطبعه للتواصل مع الآخرين . **و سنكتفي بتوضيح تأثير الأدب اليوناني على الأدب العربيو تأثر هذا الأخير به ،مع التأكيد أن الأدب العربي تأثر أيضا بآداب أخرى كالأدب الهندي و الفارسي.**

2-اللقاء التاريخي بين العرب و الإغريق :

ويعود اتصال العرب بالإغريق إلى المرحلة التي تمازجت فيها الروح الشرقية بالروح الإغريقية ، وكان ذلك في عهد الإسكندر المقدوني (223-146 ق.م) أو ما يعرف بالفترة الهيلينية التي اصطبغت فيها روح الشرق بالإغريق وروح الإغريق بالشرق ، فقد « نجح سعي الإسكندر في دمج الشرق باليونان ، وامتد العالم الهليني من البحر الأيوني إلى الشرق الأقصى في وحدة جغرافية مصطنعة ، ومع موت الإسكندر تفككت هذه الوحدة سياسيا ، ولكنها حافظت على لغة رسمية واحدة وأنظمة موحدة في النقد والمقاييس والموازين ، وبلغ من ذوبان الشرق باليونان ، أو اليونان بالشرق أن ضعفت الروح الوطنية ، فطغى على الأذهان نوع من الأممية (...) وتبدل وجه الحياة في الشرق ، وانصاع الشرقيون إلى كثير من عادات الإغريق حين رأوا في حضارتهم ما يستحق الإكبار والتقدير ، فبنوا المسارح والحمامات ، وأتقنوا الألعاب الرياضية وهندسوا المدن على الطريقة اليونانية وأقبل المثقفون على فكر الإغريق وآلهتهم » [1] .

---

1 - لبيب عبد الساتر: الحضارات ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1986 ، ص 182/181.

إذن ، لقد كان عصر الإسكندر المقدوني وما تلاه من العصور التي عرفت بالهيلينية هي الفترة التي نستطيع أن نقول أنها بداية للقاء الفعلي بين الإغريق والعرب في إطار ما عرف باللقاء بين الغرب والشرق ، لأن الفتوحات الإغريقية قد امتدت واتسعت فشملت البلاد العربية « عن طريق المراكز الإغريقية التجارية والاستطانية القديمة التي أقامها الإغريق على شواطئنا وفي مناطقنا القارية (...) اضف إلى ذلك أن أجزاء كبيرة من وطننا العربي كسورية ومصر والساحل الليبي ، كانت من أهم منابر الحضارة الإغريقية في وقت متأخر ، وقد حفظت مدن مثل الاسكندرية في مصر وأنطاكية وغيرها من مدن الامبراطورية السلوقية التراث الإغريقي من الاندثار » [2] .

وفي سر هذا اللقاء بين العرب والإغريق ، تحدث إحسان عباس عن قضية اللقاء بين آثار الشرق والغرب ، من خلال تعرضه لأثر شخصية إيسوبيوس الإغريقي في الشخصيات والأمثال العربية مثل شخصية لقمان ، وشخصية عبد المسيح بن بقيلة، وشخصية الغضبان بن الصغيري، وكلها شخصيات تنتمي إلى العصر الجاهلي ، ولها قصص ومواقف تشبه إلى حد كبير مواقف وقصص إيسوبيوس، وبعد أن عقد هذا الدارس المقارنة بين هذه الشخصيات ، قال : « ويبدو أننا بالنظر إلى أدب ايسوب أمام فرضية مقبولة ، وهي أن ذلك الأدب كان معروفا لدى العرب في الجاهلية عن طريق اللغة الآرامية ، وعن طريق نصارى الحيرة بالذات، فنحن نجد نماذج من الخرافات والأمثال الجاهلية مضمنة أيضا في أدب إيسوب، ولكن علينا أن نأخذ الشاهد بحذر ، فقد أثبتت الكشوف الحديثة أن بعض العناصر عند إيسوب ترجع إلى أصول مشرقية موغلة في القدم ،وبخاصة إلى أصول سومرية ، وهذا واضح في النتائج التي توصل إليها الأساتذة إدمند غوردن ، ون.س كريمر ولامبرت في أبحاثهم، وربما أضيفت إلى خرافات إيسوب عناصر من أصل عربي خالص ، وإن كان من المعتقد أنها انتقلت في دور متأخر نسبيا » [3] .

ثم يورد الدارس نفسه نماذج من الأدب السومري وعلاقتها بنماذج منسوبة إلى إيسوب الإغريقي ، وبعد عرضه لهذه النماذج يقول : « فهذه الأمثلة تدل على أن خرافات إيسوب ذات أصول موغلة

---

2 - مفيد رائف العابد : دراسات في تاريخ الإغريق، المطبعة الجديدة ، دمشق ، سوريا (1399هـ - 1400) - (1979-1980) ، ص 05.

3 - إحسان عباس : ملامح يونانية في الأدب العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1995 ، ص 76/75.

في القدم ، وأن منها ما هو مشرقي في أصله وليس نتاجا يونانيا خالصا، وأن التلاقي بين آداب الشرق والغرب –وخاصة في هذا المجال– كان أوسع نطاقا » [4] .

ومما تقدم يتضح أن اللقاء العربي الإغريقي تم في إطار تلاقي ثقافات الشرق والغرب، وكان ذلك على مستويات عدة منها السياسية، وتمثلت في حملة الفتوحات الإغريقية للبلاد المجاورة لها ومنها كذلك الأدبية ، وقد أوردنا نموذجا عنها ، وكان أهم مستوى مثل هذا التلاقي على الإطلاق : المستوى التجاري في عهد الإمبراطورية السلوقية الإغريقية التي كانت لها عاصمتين : سلوقة على دجلة قرب بابل والثانية أنطاكية في سوريا، « ولما كانت التجارة عصب الاقتصاد آنذاك ، نشطت طرق القوافل بين الأناضول وسلوقية ، وكذلك بين الشرق الأقصى وسلوقية . وورث السلوقيون عن الفرس الطرق الملكية واضافوا إليها . فأضحت سلوقية ملتقى التجارة منها تتوزع البضائع إلى جميع أنحاء الامبراطورية بما فيها الشواطئ الفينيقية. وعمم التعامل بالنقد ، فازدادت إمكانية التبادل التجاري وتعددت المصارف وعم الرخاء، فكان للتجارة فضل على امبراطورية السلوقيين . فلولاها لما شيدت كبريات المدن، ولما امتد العمران فتعددت التأثيرات الهيلينية حدود الشرق الأوسط إلى أفغانستان ، حيث نشأ فن هو مزيج من التأثيرات الإغريقية والبوذية » [5] .

والواقع أن الحديث عن هذا اللقاء يفرض حديثا –ولو موجزا– عن تلك المدارس التي أوجدها الإغريق في البلاد العربية ، وكان من أشهرها « مدرسة الإسكندرية في بدء القرن الثالث للميلاد ومدرسة أنطاكية وأنشئت في نصيبين مدرسة أخرى سنة 227م » [6] .

ولقد رجح الدارسون فترة ظهور هذه المدارس بداية للانتقال الفعلي للعلوم الإغريقية إلى العرب – قبل الإسلام – الذين تمكنوا من استيعابها في العهود الإسلامية ونشروها بما يتوافق مع دينهم ، ولقد تجلى تأثر العرب بالحضارة الإغريقية في العلوم الفلسفية خاصة ما كان من تأثير المذهب الأفلاطوني على فلاسفة العرب وعلى المتكلمين منهم والمتصوفة .

وقد كان السريانيون يمثلون همزة وصل بين أصحاب هذه العلوم ومتعلميها من العرب ، وقد حافظوا عليها ونشروها خاصة فيما يتعلق بالمذهب الأفلاطوني ، واستمر تعلقهم بها إلى ما بعد الفتح الإسلامي .

---

4 - المرجع نفسه ، ص 80.

5 - لبيب عبد الساتر : الحضارات ، ص 181.

6 - أحمد أمين : فجر الإسلام ، موفم للنشر ، سلسلة أنيس الأدبية ، الجزائر ، (د.ط) (د.ت) ، ص 45.

لقد كان عمل السريانيين هاما في بعث الثقافة والروح الإغريقية في نفوس أبناء الوطن العربي ، واستمر نشاطهم حتى بعد ظهور الإسلام الذي شجعهم بسماحته على مواصلة عملهم العلمي ، فكان « هؤلاء السريانيون ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لم يمس الدين كالمنطق والطبيعة والطب والرياضة (...) أما الإلهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية .. » [7] .

ولم يتجاوز –كما تذكر المراجع– عمل السريانيين دور نقل وترجمة العلوم اليونانية خاصة الفلسفية منها التي قلنا إنها كانت ذات أثر كبير ، وقد « كانت ترجمتهم لكتب الفلسفة اليونانية هي الأساس الذي اعتمد عليه العرب والمسلمون في أول أمرهم (...) وكانت الترجمة السريانية في عهدها الأول ترجمة حرفية تقريبا، ثم تحرر الكتاب المتأخرون من حرفية الترجمة » [8] .

وأيّا كان دورهم فإنهم عملوا على بعث وتنشيط الحركة العلمية في البلاد العربية ومنذ إنشاء تلك المدارس قبل ظهور الإسلام، إلى العصر الأموي الذي شهد اهتمام الحكام بالعلوم والإقبال عليها ، والتشجيع على تلقينها ثم امتد نشاطهم إلى عصر العباسيين الذين شجعوا بدورهم طلاب العلم على نهل العلوم أينما كانت مواردها .

إن الحديث عن دور السريانيين في نقل العلوم الإغريقية وخاصة الفلسفية منها يطول ، والذي يهمنا في هذا المقام هو الوجود الفعلي لروح إغريقية ، تمثلتها أيدٍ سريانية في بلاد عربية بعينها ، كما يهمنا معرفة مكانة الآداب الإغريقية من جملة العلوم المنقولة إلى اللغة العربية .

لقد كشفت الدراسات عن انتقال الفلسفة والطب وجملة أخرى من العلوم اليونانية إلى العربية ، كما بينت تأثر العلوم العربية بمثيلتها اليونانية ، لكن عند الحديث عن انتقال الآداب اليونانية إلى العربية فالأمر مختلف كل الاختلاف .

فلقد بات من الشائع لدينا أن الأثر الذي تركه الأدب اليوناني على الأدب العربي كان ضعيفا ، وقد تمثل أساسا في وجود بعض الكلمات الإغريقية في الأدب العربي ، مثل : القسطاس والقنطار ، وتأثر بعض الشعراء بالنصرانية مثل الأخطل ، وتداول العرب لبعض الحكم اليونانية المنسوبة إلى أفلاطون وأرسطو ... [9] .

---

7 - أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص 212.

8 - المرجع نفسه ، ص 212.

9 - المرجع السابق ، ص 34.

وقد علل أحمد أمين ضعف تأثير الأدب الإغريقي على الأدب العربي باعتزاز الأديب العربي بلغته وآدابها ، فهو لم يكن بحاجة إلى الشعر الغنائي وشعر الملاحم اليونانيين ، وقد وجد هذا الاعتزاز منذ العصر الجاهلي، واستمر إلى العصور الأدبية اللاحقة لما كان للأدب الجاهلي من تأثير كبير عليها .

كما ذهب هذا الدارس عندما استدل على تأثر الأدب العربي بالأدب الفارسي وعدم تأثره بالأدب الإغريقي إلى القول بأنهم « تأثروا بالأدب الفارسي ، لأن الفرس هم الذين انتقلوا للعربية وليس العكس ، كما أن دولة الفرس ذابت في المملكة العربية ، أما الحياة اليونانية فكانت بعيدة كل البعد عن معيشة العرب ، ولم تكن تحت أعينهم لينظروها : آلهة تخالف كل المخالفة تعاليم دينهم ، ونظم سياسية لا عهد لهم بها ، وأنواع من اللهو لم يألفوها ، والأدب كما علمت إنما هو صورة منعكسة للمعيشة الاجتماعية ، فكان لزاما ألا يتذوق العرب الأدب اليوناني ويتأثروا به » [10] .

و ينحو دارس آخر هذا المنحى ويتبع مذهب أحمد أمين بشأن ضعف تأثير الأدب الإغريقي على الأدب العربي ، وعدم تأثر هذا الأخير به ، بل وعدم حاجته إليه بدليل أن النقل والترجمات اقتصرا على ضروب معينة من العلوم لم يكن مكان للأدب بينهما ، لأن العرب « لم يطلبوا من اليونان العون في الأدب ، لم يطلبوا مثلا ترجمة هوميروس الشاعر أو سوفكليس، أو يوريبدس، أو بندار ، أو أرسطوفان ...إلخ ، وذلك لاعتقادهم الراسخ بأن شعرهم هو الذروة من الشعر ولاعتزازهم بآثارهم الأدبية التي كانوا يقدمونها على كل أثر ويجدون في أنفسهم أن لهم –دون غيرهم– مملكة الفصاحة والبيان ، مما أدى بهم إلى الإعراض عن كل أدب آخر » [11] .

ويضيف محمد عبد الرحمن مرحبا عاملا آخر كان سببا في امتناع العرب عن ترجمة ونقل الأدب اليوناني ، وقد تمثل في اعتقاده في العامل الديني ، حيث أن روح الاسلام تبعد عن روح الوثنية الإغريقية ، وحيث أن الأدب انعكاس للحياة بجميع مستوياتها ، فقد انعكست الوثنية الإغريقية على الآداب الإغريقية ، « فالموضوعات الرئيسية للدراما الإغريقية كانت ذات صفة دينية وأسطورية لا تروق للعرب ذوي المفاهيم الدينية المختلفة ، ولا تثير حساسيتهم بسبب الشعور الإسلامي الغامر

---

10 - المرجع نفسه ، ص 23/222.

11 - محمد عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر منشورات دار عويدات ، بيروت - باريس ، ط 3 ، 1983 ، ص 312/311.

الذي استحوذ عليهم وملك جوانب نفوسهم ، فهم لم يطلبوا من اليونان إلا ما أحسوا بالحاجة إليه لاستكمال أوجه النقص في ثقافتهم العقلية » [12] .

لقد احتكمت الآراء السابقة إلى القوة الكبيرة التي شهدها العصران : الأموي والعباسي في نقل العلوم وترجمتها وخلوها من الترجمات الأدبية للآثار الإغريقية .

وفيما تحتكم هذه الآراء إلى الموجود من الكتب المترجمة ، وتجعل من غياب الترجمات الأدبية دليلا على عدم تسرب الأدب الإغريقي بشكل واضح ، يذهب سليمان البستاني مذهبا يشي بوجود بعض الكتب الإغريقية الأدبية التي كانت معروفة عند العرب في العصر العباسي، ولا سيما أن اللغة اليونانية كانت منتشرة بينهم « ومعروفة لذلك العهد في بغداد تقرأ وتدرس حتى في بيوت الخلفاء » [13] .

وإذا علمنا أن الأفراد الذين اشتغلوا بترجمة الكتب كانوا سريانيين يجيدون اللغة الإغريقية ويقرءون الكتب في لغاتها الأصلية تتضح إمكانية اطلاعهم على الكتب الأدبية اليونانية ، وعلى هذا الأساس يقول سليمان البستاني « أن منظومات هوميروس كانت معروفة فيما بين المشتغلين بلغات الأجانب ومعظمهم إذ ذاك من النصارى » [14] .

وإذا علمنا أن المترجم في أي عصر وفي أي زمان ومكان يقوم بانتقاء ما سوف يترجمه تصبح قضية معرفته للغة والآداب التي يود الترجمة فيهما أمرا طبيعيا، لذلك فإن حصر مجال الترجمة في العلوم والفلسفة الإغريقية دون الآداب لا يستند إلى مبرر قوي يدحض كل الدحض عدم إطلاع العرب على الآداب الإغريقية .

3–مسالك التأثر :

ومهما تكن نوعية المنافذ التي يمكن أن يطل منها أي أدب على أي أدب آخر ، فإنه يمكننا أن نحصرها في مسلكين : تمثل الترجمة المسلك الأول ويمثل الأدب الشعبي المسلك الثاني.

أ – الترجمة :

تذكر بعض المراجع الحديثة التي اهتمت بالأدب اليوناني بعض الطرق والمنافذ التي تسرب منها الأدب اليوناني إلى الأدب العربي عن طريق الترجمة ، ومن تلك المراجع ، كتاب " ملامح يونانية في

---

12 - المرجع نفسه ، ص 312.

13 - سليمان البستاني : إلياذة هوميروس ، ج1 ، طبعة جديدة ، 1994 ، ص 26.

14 - المرجع السابق ، ص 26.

الأدب العربي " للباحث والناقد إحسان عباس ، الذي أورد مجموعة من الأسماء التي اهتمت بالأدب اليوناني في حقول الشعر والحكم والسياسة والخرافات .

وفيما يتعلق بمجال الشعر ، فنحن نعرف أن العرب عرفوا بتعصبهم الكبير لشعرهم وأدبهم ، لذلك ابتعدوا عما للأمم الأخرى من آداب ، ووقفوا عند ما جادت به قرائحهم لأسباب قومية وجمالية ودينية ، ولكن بالرغم من القيود التي فرضتها اللغة العربية على الأدب فإننا نجد بعض المراجع تخلص إلى أن العرب عرفوا الشعر اليوناني عن طريقتين ؛ الأولى عارضة والثانية مقصودة .

أما الطريقة العارضة فهي التي ورد فيها الشعر في ثنايا كتب بعينها « ويمثل كتاب تحقيق ما للهند من مقولة وكتاب الآثار الباقية للبيروني مصدرا هاما لبعض الأقوال الشعرية العارضة التي تتميز عن النماذج الأخرى المنقولة بدقة قربها إلى الأصل وبصحة نسبتها » [15] .

أما الطريقة المقصودة فهي الترجمة التي « قصد بها القاصدون الشعر لذاته ، نقلوه ليعرّفوا العرب بأقوال شعرية يونانية، وقد كان هؤلاء يميزون دائما بين هذه الأقوال الشعرية والأقوال الحكمية ، وعلى ذلك فإن عدم الصحة في نسبة تلك الأقوال الشعرية لا يقلل من شأن الغاية المعتمدة فيترجمتها، ومن تلك الأشعار المنسوبة إلى أوميروس التي ترجمها اصطفن ابن بسيل (معاصر حنين بن إسحاق) كلها من اللون الأيامي، وقد وصلتنا في كتاب منتخب صوان الحكمة ، وعنه نقل بعضها الشهرستاني في الملل والنحل » [16] .

وأيما كانت الطريقة التي تسرب بها الشعر اليوناني إلى الأدب العربي فإن نوعية الموضوعات الشعرية المستقاة من الأدب الإغريقي تساعد على إقامة الدليل على هذا التسرب ، وإذا علمنا أن أشعار الخمريات الإغريقية لها وجود في الأدب العربي، أيقنا بجواز هذا التسرب عن طريق الترجمة ، وهذا ربما لتدعيم بعض الموضوعات التي نجدها في باب اللهو والمجون والخمريات .

ومن تلك الأشعار ما نقله إبراهيم الرقيق ، تؤكد على « أن اطلاعه على الثقافة اليوناينة أمر تشهد به مؤلفاته وخاصة كتاب "قطب السرور" فلأول مرة يقدم لنا هذا الكتاب أشعارا يونانية مترجمة إلى العربية ، لا في الحكمة والأمثال والخرافات ، ولا في المنظومات العلمية ، وإنما في موضوع

---

15 - إحسان عباس : ملامح يونانية في الأدب العربي ، ص 15.

16 - المرجع نفسه ، ص 29.

آخر كنا نظن أن العرب وقفوا فيه من يحس بالاكتفاء والرضى الذاتي فيما حققوه فيه ، وذلك هو شعر الخمر » [17] .

ويجوز أن يقال بعد هذا أن العرب إنما أرادوا أن يتلذذوا بخمريات الإغريق من باب التفكه والتندر ، وربما هروبا من سطوة رجال الدين وفقهائه الذين فرضوا منطقهم على اللغة والأدب العربيين .

كما يجوز أن يقال أن بدء اعتراف العرب بمكانة الأمم الأخرى ومنها اليونان في الشعر والبيان بدأت تتضح أكثر وبدأت تمحي معها الخطوط الرسمية بين الأدب العربي والأدب الأجنبي ، وذلك عندما وقف بعض فلاسفة العرب ، ومن بينهم الفارابي في كتابه إحصاء العلوم وابن فارس في كتابه الصحابي في سنن العرب وكلامها، وابن الأثير في كتابه الأدباء وابن سينا في كتابه الشفاء، على ما للأمم الأخرى من شعر وخاصة الشعر اليوناني[18].

ومن حق القول علينا أن نذكر في هذا السياق أن الذين اشتغلوا في حقل الترجمة قد نقلوا كذلك عن الفلاسفة ، ومعروف عن الفيلسوف أنه كان موسوعة ، لذلك لا يستبعد أن لا تخلو كتبه من الشعر والحكم والنوادر ، بل وربما قد خلت الكتب التي وصلتنا من هذه وتلك بفعل النقلة أنفسهم أو القراء لعوامل ذوقية أو سياسية أو اجتماعية أو دينية .

ولم يقتصر هذا التسرب على ضروب الشعر فقط ، بل تعداه كما ذكرنا إلى بعض الضروب المعرفية الأخرى كالسياسة والحكمة والخرافات . وقد كانت السياسة من « أهم المواد التي عني بالإفادة منها في مختلف الأشكال الأدبية ، وفي مقدمة ذلك الرسائل المنحولة لأرسطو طاليس والخرى المنحولة لأفلاطون » [19] .

ولم يقتصر أنصار الثقافة اليونانية على الترجمة في حقل السياسة وإبراز ما للاغريق من فضل في هذا المجال ، بل اتجهوا إلى الأقوال الحكمية الإغريقية يتتبعونها « ونرى جهودا كبيرة تبذل في الحقبة الثانية من حقب الترجمة على يد حنين وغيره من التراجمة لنقل الأقوال الحكمية اليونانية ، وكان ما ينقله التراجمة من تلك الأقوال يقع تحت اسم Gromonologio أو Florilegio ، ويضم أقوالا حكمية وأشعارا لا تفترق في كثير عن الأقوال الحكمية ، والمقصود فيها الغاية الأخلاقية كما تؤدي إليه لفظة

---

17 - المرجع نفسه ، ص 105.

18 - انظر إحسان عباس : ملامح يونانية في الأدب العربي ، من ص 29 إلى ص 43.

19 - المرجع نفسه ، ص 22.

أدب التي تطلق على ما يترجم أو ينقل عن الفارسية ولقد لقيت تلك الأقوال عناية كبيرة ، وخاصة بعد مرحلة الترجمة ، إذ أفردت بالتأليف أو نثرت على نطاق واسع في الكتب الأدبية » [20] .

ومما لا شك فيه أن الحكمة مجال تشترك الإنسانية في إنتاجه ، لأنها ترتبط بالوجدان الإنساني الحي الذي يبقى الإنسان في حاجة إليه في كل زمان ومكان ، لذلك فإن علمية نقلها أو ترجمتها لا تشكل أدنى خطر على أي أدب لأية أمة .

ونخلص بعد أن تطرقنا إلى المصدر الأول من مصادر اطلاع العرب على الأدب اليوناني إلى القول بأن العرب عرفوا الشعر والحكمة والسياسة اليونانية ، وقد كانت منافذ معرفتهم متعددة ووسائلهم في ذلك مختلفة ، وعليه فإننا لا نستبعد أن توجد في هذه الترجمات نصوصا أو إشارات يمكن أن تكون بعض المخطوطات حافظت عليها، وربما بعضها أسقط أو ضاع لظروف معينة ، وربما يكون ما انتهى إلينا ، انتهى مغربلا خاصة الذي كان الواسطة في نقله العرب الذين وقفوا موقف الحريص من نقل الآداب الأجنبية، وخاصة منها الشعر ، الذي هو مصدر هام من مصادر فهم القرآن الكريم وشرح آياته وتفسيرها ، فلهذا السبب وقف رجال الدين موقف المتحامل من ترجمة الشعر الأجنبي ، وخاصة منه الشعر الوناني ، لأنه وثني يخالف العقيدة الإسلامية ، زيادة على أنه نتاج بقايا ترسبات لا يمكن تصديقها حين إعمال الفكر والعقل فيها .

ب – الأدب الشعبي :

لقد ذكرنا فيما تقدم أن منظومات هوميروس ، شاعر الملاحم الإغريقية ، كانت معروفة ومتداولة بين المشتغلين بفن الترجمة .

وقد وردت أيضا متضمنة في ثنايا بعض الكتب مثل كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" لصاحبه البيروني الذي اهتم بالأدب والشعر اليونانيين أثناء حديثه عن أحوال الهند واعتقاداتها ، ومعارفها وعلومها وكتبها وأشعارها، فيورد في الفصل الذي عنوانه "في صورة الأرض والسماء على الوجوه الملية التي ترجع إلى الأخبار والروايات السمعية" ، شعرا لأوميروس (هوميروس) يقول فيه : « إنك جعلت السماء الطاهرة مسكن الأبد للآلهة لا تزعزعه الرياح ، ولا تبله الأمطار ، لا تتلفه الثلوج في الصحو البهي بلا سحاب يغشاه » [21] .

---

20 - المرجع السابق ، ص 14.

21 - أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1403هـ/1983 ، ص 169.

وفي رأينا أن منظومات هوميروس شاعر اليونان الأكبر ، سواء عرفها بعض المشتغلين بالترجمة أو جاءت هكذا عارضة في بعض الكتب ، لا يمنع تسربها إلى الأدباء والعامة من الناس ، خاصة أنها من الأدب الشعبي البطولي الذي يتغنى بالبطولات ويمجدها ، ونحن نعرف أن الدهماء تميل إلى هذا النوع من الأدب البطولي ، الذي هو مطمح بشري يسعى الأفراد كما تسعى الجماعات إليه .

وقد أورد إحسان عباس –في مجال الترجمة دائما– في كتابه سابق الذكر مجموعة من الأسماء التي اهتمت بالخرافات والأساطير اليونانية. وعلى ذلك فإن العودة إلى كتب الحيوان والأمثال والأدب من شأنها أن تعيننا على تتبع الخرافات اليونانية في الأدب العربي ، ومن أهم تلك الكتب : كتاب حياة الحيوان الدميري وكتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب الدرة الفاخرة للأصفهاني، وكتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي، وكتاب البصائر للتوحيدي ، وكتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي وكتاب الحكم الروحانية لابن هندو [22] .

وكما لا نعدم انتقال بعض الخرافات والأساطير اليونانية إلى الأدب العربي، لا نعدم كذلك انتقالها إليه عن طريق التجارة، والجواري، والغيماء ، والسبي، والرحلات ، وهذا بفعل الاحتكاك المستمر بين الشعوب .

كما لا نعدم هذه الصلة بين الأدبين : العربي والإغريقي على مستوى الآداب الشعبية ، وعلى مستوى متداولي الأدب الشفاهي ، الذين يخضعون موضوعات أدبهم دائما للتحوير حتى تتناسب مع أذواقهم وفكرهم ومعتقداتهم، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار تلك الحواجز الدينية واللغوية التي وضعها الفقهاء العرب أمام النقلة والمترجمين، زاد الاعتقاد بإمكانية اتخاذ الآداب الشعبية طريقا ومنفذا لتسرب أي أدب شعبي لأية أمة كانت ، فهنا يجد الناقل والقارئ معا ، حرية في استقاء ما يرغبان في استقائه .

ومما تقدم ذكره بشأن هذا المبحث ، نخلص إلى القول بأن اللقاء التاريخي والأدبي بين العرب والإغريق تَمَّ على مرحلتين يمكن أن نسمي المرحلة الأولى بفترة التقاء الشرق بالغرب ، وكان العرب في هذه الفترة تحت نير الأمبراطورية الإغريقية ، وكانوا قد قبسوا من الثقافة اليونانية ، فانصهرت هذه الثقافات وأمدتنا بثقافة ذات روح شرقية ليس لأحد حق نسبتها إليه .

---

22 - إحسان عباس : ملامح يونانية في الأدب العربي ، ص 24/23.

أما المرحلة الثانية فقد كانت بعد الإسلام ، وكان العرب في هذه الفترة قد أصبح لهم كيان وثقافة تميزهم عن باقي الشعوب الأخرى ، ولقد وصل بهم تطلعهم إلى المعرفة إلى الانفتاح على الشعوب والثقافات المجاورة للنهل من علومها والاطلاع على آدابها، وكانت الحضارة اليونانية من أكبر الحضارات التي تسنى للعرب الاطلاع على معالمها في عصور ازدهار الترجمة والنقل .

وكما شغف العرب في هذه الفترة بترجمة ونقل العلوم اليونانية من فلسفة ومنطق ورياضيات وطب ، شغفوا كذلك بترجمة آداب الإغريق ، فكانوا يعرفون أبطال ملاحمهم وأسماء آلهتهم وفصوص حكمهم ، وغيرها من الأمور التي تدل على معرفتهم واطلاعهم على آداب الإغريق .

و يمكن أن نؤكد على هذا اللقاء الأدبي بين العرب و الإغريق من خلال الأدب الشعبي و من خلال ظاهرة تجمع الآداب الشعبية هي ظاهرة التراكم الملحمي والسيري ، ونقصد بهذه الظاهرة ذات السمة العالمية « كل ما يعلق بجسد الأعمال الملحمية والسير من أحداث مستجدة ودخيلة سواء على المستوى المكاني الجغرافي أو الزماني التاريخي » [23] .

تتعلق العملية إذن بتأثير ملحمة في أخرى وإضافة مواضيع جديدة إليها مع احتفاظها بموضوعاتها الأصلية ، وقد يرجع الأمر إلى أسبقية الملحمة المتأثر بها ، كما يرجع الأمر إلى تداخل أدبين إما بفعل عملية الجوار وإما بفعل عملية الانتماء .

إن وجود هذا النوع من الآداب الشعبية يشي بحدوث علمية تداخل كبيرة بين الآداب الشعبية العالمية ، وهذا ما أثبتته بعض الدراسات التي أقيمت في هذا المجال من مثل دراسة نبيلة إبراهيم لسيرة "الأميرة ذات الهمة" وعلاقتها بملحمة ديجينس" البيزنطية ، والدراسة التي قام بها كل من عبد الحميد يونس ومحمود ذهني لسيرة "عنترة بن شداد" وعلاقتها بملحمة السيد الإسبانية ، وكذلك الدراسة الهامة التي قام بها لويس عوض عن سيرة الزير سالم في كتابه "أسطورة أوريست والملاحم العربية" . وتحفل هذه السيرة أي سيرة "الزير سالم أبو ليلى المهلهل بن ربيعة " الشعبية –حسب الكثير من الدراسات –كغيرها من القصص والملاحم الشعبية بأحداثها وشخصياتها ببعض المواضيع التي تبدو قريبة الصلة من بعض الملاحم الشعبية الأجنبية مثل الملحمة العبرية "شمشون ودليلة" والملحمة المصرية القديمة "إيزيس وأوزيريس" ، والإلياذة ، ملحمة الإغريق الكبرى .[24]

---

23 - شوقي عبد الحكيم : السير والملاحم الشعبية والعربية ، ص 29.

[24] -ينظر وردة معلم :المؤثرات الثقافية في سيرة الزير سالم أي ليلى المهلهل بن ربيعة ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2004.

ولقد أكدت تلك الدراسات على أن الثقافة الشعبية العربية شهدت كغيرها من ثقافات شعوب العالم هذا الامتداد في مراحلها الأولى فتأثرت وأثرت ، وذلك وفق قانون التطور الطبيعي لثقافات المجتمعات الشعبية القابلة دوما للتغيير والتحوير والزيادة والنقصان بما يتلاءم مع واقع وطبيعة المجتمع على جميع المستويات . وقد ينتج عن هذا التغيير والتحوير مواضيع ثابتة وأخرى قد تؤدي إلى توحيد هذه الثقافات ، كما تؤدي إلى تمييزها عن بعضها البعض .

ومن تلك المواضيع المشتركة في الآداب الشعبية ، مواضيع الاختباء واختطاف الزوجة أو الحبيبة وانتقام الأخ من أخيه أو الابن لأبيه وقتل زوجة الأب وكره هذه الأخيرة لبنات زوجها ، وتزوج الفارس من محبوبته ، وانتصاره على أعدائه ، إلى غير ذلك من المواضيع المشكلة للحكايات والقصص والملاحم ، وذلك على اعتبار أن العواطف والأحاسيس الإنسانية مشتركة ومتغيرة في الوقت نفسه بتغير المجتمعات وتوجهاتها وانتماءاتها .